مكتبة مركز التجمع في « شيوناو » : سأعطيك كتابا جديدا لسولجينتسن بدون أن تقف في الطابور . ولكن عليك أن تكتب باختصار ، بالروسية طبعا ، الانطباعات التي تركها بنفسك هذا الكتاب . لا تخش شيئا . فهي ضرورية لدار النشر ، ولمسألة الاحصاء فقط .

لقد شاهدت ــ قال مايمان ــ كيف أخفوا في الخزانة الحديدية وبحرص شديد هذه الانطباعات التي لم تستدع اطلاقا اعطائي الكتاب بدون طابور ، لأن معنى ذلك أن مؤلفات سولجينتسن ستتكوم على الارفف في مركز التجمع . وهذا ما دفعني الى أن أتذكر ذلك الكيفي السابق . لقد اقترحوا عليه في اسرائيل ان يكتب في احدى الجرائد الصهيونية مؤكدا ان المقاطع السينمائية التي تم عرضها على شاشة التليفزيون بعد المونتاج عن سولجينتسن هي وثائقية . لكنها في حقيقة الامر كانت عبارة عن مقاطع سينمائية معادية للسوفييت طبخت على أنغام الكتابات السولجينتسية .

وفيما بعد صار يستخدم الاستفزاز ضد كل من بقى في مركز التجمع بصور شتى ، وليس فقط بمساعدة مؤلفات سولجينتسن . فهناك « قاعة اللوحات الفنية » التي استخدمت هي الاخرى لاثارة انتباه المتعلقين بقضايا الفن . ويمكن القول أن لوحات الفنانين التجريديين الذين لم تحظ معارضهم باقبال أحد ولو ليوم واحد ، على الرغم من انها عرضت في مختلف « القاعات الفنية » للمدن ، تعرض دوريا في هذه القاعة . ولهذا الغرض قاموا بتنظيم زيارات لمشاهدة معرض اللوحات الفنية . وبعد خمس دقائق من مشاهدة المعرض ، كانوا يطلبون من كل واحد تسجيل انطباعاته في دفتر الزيارات .

لقد اطلعت على هذه الانطباعات . انها قليلة على أية حال ، وان كانت تحمل في اكثرها الاعجاب « بالفن المعاصر في العالم الحر » . ومن الانطباعات التي اطلعت عليها كانت انطباعات نولين الذي أطلق على نفسه نحاتا . وفيما بعد لم اعثر لأي اثر على اسم هذا المدعي في فهارس مؤلفات النحاتين السوفييت . وقال لي المهاجرون من مدينة حيفا عن اللقاء الذي قوبل به نولين السالف الذكر في « العالم الحر » عندما أخذ يتحدث عن قضية النحت . لقد قاطعوه . واقترحوا عليه أن يقوم بعمل آخر غير النحت ، أن يقوم مثلا بتلوين نماذج الاعلانات .

وعندما ودع نولين معارفه الذين غادروا اسرائيل تنفس بحزن « يبدو لي انني سأمضي عمري هنا . أما أنتم فلديكم على أية حال شبه أمل في أن تصفح عنكم الدولة السوفييتية . أما أنا فبصفتي مخبولا ، فقد عمدت فور وصولي الى اسرائيل الى تشويه صورة الفن السوفييتي المعاصر أمام مندوبي الصحافة الاسرائيلية . انكم تعلمون كم كان تلفيقي فارغا وبلا معنى ، ومع ذلك فانهم هنا ينشرونه . فهل بامكان انسان مثلي أن يطلب أستعادة الجنسية السوفييتية ــ طبعا سيذكروننني على الفور بأكاذيبي ! » .

إن أول من سيذكر نولين عند ابداء رغبته بمغادرة اسرائيل هي السلطات الاسرائيلية . ستذكره بانطباعاته المدونة في دفتر الزيارات اثناء مشاهدته لمعرض اللوحات الفنية . وبالطبع ستطلعه هذه السلطات على نسخة مصورة لانطباعاته المدونة .

حدثني أحد المهاجرين عن اعترافات نولين التي جاءت متأخرة قليلا :

ــ ما الفرق بيني وبينه ؟ صحيح انني لم ادل لمندوبي الصحافة الاسرائيلية باية أقوال معادية للسوفييت . ولكني أيضا نسيت أن البلاد السوفييتية جعلت مني انسانا .